قامة واعتدال وصورة وتمام في الأعضاء وقوة في البطش
وحصافة في العقل وجزالة في الرأي وجرأة في القلب وسماحة
في النفس وذلاقة في اللسان ولباقة في التكلم وحسن
تأتٍّ في مزاولة الأمور وما أشبه ذلك مما لا يحيط به
الوصف. استعير الفتح للإطلاق والإرسال ألا ترى إلى
قوله فلا مرسل له مكان لا فاتح له يعني أي شيء يطلق
الله من رحمة أي من نعمة رزق أو مطر أو صحة أو أمن
أو غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يحاط بعددها
وتنكير الرحمة للإشاعة والإبهام كأنه قال من
أية رحمة كانت سماوية أو أرضية فلا أحد يقدر
على إمساكها وحبسها وأي شيء يمسك الله فلا أحد يقدر
على إطلاقه. فإن قلت لم أنث الضمير أولا ثم ذكره
وهو راجع في الحالين إلى الاسم المتضمن معنى الشرط
قلت هما لغتان الحمل على المعنى وعلى اللفظ والمتكلم
على الخيرة فيهما فأنث على معنى الرحمة وذكر على
أن لفظ المرجوع إليه لا تأنيث فيه ولأن الأول فسر
بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر
الثاني فترك على أصل التذكير. وقرئ فلا مرسل لها
فإن قلت لا بد للثاني من تفسير فما تفسيره

قلت

قلت يحتمل أن يكون تفسيره مثل تفسير الأول
ولكنه ترك لدلالة الأول عليه وأن يكون مطلقا في كل ما
يمسكه من غضبه ورحمته. وإنما فسر الأول دون الثاني
للدلالة على أن رحمته سبقت غضبه. فإن قلت فما
تقول فيمن فسر الرحمة بالتوبة وعزاه إلى ابن عباس
قلت إن أراد بالتوبة الهداية لها والتوفيق فيها وهو
الذي أراده ابن عباس رضي الله عنه إن قاله فمقبول وإن
أراد أنه إن شاء أن يتوب العاصي وإن شاء لم يتب فمردود
لأن الله تعالى يشاء التوبة أبدا ولا يجوز عليه إلا ذلك
من بعده من بعد إمساكه كقوله فمن يهديه من بعد
الله فبأي حديث بعد الله أي بعد هدايته وبعد آياته
وهو العزيز الغالب القادر على الإرسال والإمساك
الحكيم الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة إرساله
وإمساكه. ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان
فقط ولكن به وبالقلب وحفظها من الكفران
وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها
ومنه قول الرجل لمن أنعم عليه اذكر أيادي عندك
يريد حفظها وشكرها والعمل على موجبها والخطاب
عام للجميع لأن جميعهم مغمورون في نعمة الله. وعن